خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٩م

في مسجد مبارك في إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ذُكر سابقًا شيء من أحوال ما بعد الهجرة، وأسباب غزوة بدر، وما قام به النبي ﷺ من إجراءات لتصدي مكايد كفار مكة وخططهم. والآن أتناول مختصرًا ذكر بعض السرايا والغزوات التي حدثت قبل معركة بدر، ثم سأسرد بإذن الله بعض استعدادات كفار مكة للحرب.

سرية حمزة، وهي أول سرية أرسلها رسول الله ﷺ، وتسمى سرية سيف البحر أيضا، كان لواؤها أبيض، وكان الذي حمله هو أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه. لقد أرسلها النبي ﷺ في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة وأمّر عليها عمّه حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون رجلاً، كلهم من المهاجرين.

بلغ هؤلاء سيف البحر الأحمر من ناحية العيص، فالتقوا بِعِير قريش التي جاءت من الشام وعلى رأسها أبو جهل.

والعيص موضع على بعد ثلاثين كلم شمال "رابغ" التي تقع في ناحية ثنية المرة. وتقع رابغ على بعد مئتين وأربعين كلم من المدينة. وكان فيها ماء يقال له ذنابة العيص، كثرت فيه أشجار السدر وغيره، لذلك قيل له عيص. كان بنو سليم يقطنون هذه المنطقة والقوافل التجارية لقريش المتوجهة إلى الشام كانت تمرّ من هنا.

على أية حال، التقى الفريقان حتى اصطفوا للقتال، وكادت الحرب أن تنشب بينهم، ولكن رئيس القبيلة توسط، حتى حجز بينهم و لم يحصل قتال ورجع الفريقان.

ثم كانت سرية عبيدة بن الحارث. لقد أرسل النبي ﷺ مع عبيدة بن الحارث ستين رجلا من المهاجرين إلى ثنية المرة بالقرب من بطن رابغ في شوال من السنة الأولى للهجرة، فلقي عبيدة بن الحارث أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين من أصحابه، وكان بينهم الرمي و لم يصطفوا للقتال. لقد رمى ذلك

اليوم سعد ابن أبي وقاص أول سهم في سبيل الله، و لم يحصل بين المسلمين والمشركين رمي السهام قبل هذا قط، فكان هذا أول سهم رُمي في تاريخ الإسلام، وكان سعد محقًّا بالتفاخر عليه. ثم انصرف الفريقان على حاميتهم.

وثنية المرة تقع على بعد خمسة وخمسين كلم شمال شرق مدينة رابغ، أما عن المدينة المنورة فتبعد مئتي كلم تقريبا.

ثم كانت سرية سعد بن أبي وقاص الذي أرسله رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة أو الثانية عند البعض، في عشرين رجلاً، وعهد إليه ألا يجاوز الخرّار. فخرجوا على أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى بلغوا الخرار، وكانوا يهدفون أن يعترضوا لعير قريش التجارية التي كانت تمر به. ولكن عندما وصلت هذه الكتيبة إلى الخرار، وجدوا أن القافلة مرت بالأمس، فانصرفوا دون أن تتم أية مواجهة.

والخرار هو صوت الماء الجاري، وهي موضع بالقرب من الجحفة في منطقة الحجاز.

ثم كانت غزوة وَدّان أو الأبوَاء. توجه النبي ﷺ مع ستين أو سبعين من المهاجرين إلى وَدّان أو الأبوَاء في صفر سنة 2 هـــ. ويرى المؤرخ ابن سعد أنها كانت أول غزوة خاضها النبي ﷺ بنفسه، فقد استخلف سعد بن عبادة على المدينة. ووصل رسول الله ﷺ إلى الأبواء لاعتراض عير قريش التجارية، إلا أنها كانت قد خرجت من هناك قبل وصوله ﷺ إليه. لقد عقد ﷺ المصالحة وحلفا مع مخشي الضمري على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا. لقد بقي ﷺ لخمسة عشر يومًا خارج المدينة جراء هذا السفر.

وودّان موضع بين مكة والمدينة ويبعد عن الأبواء ١٣ كلم، حيث دُفنت والدة النبي ﷺ. ويبعد هذا المكان قرابة ١٠٠كلم عن الجحفة.

أذكر أسماء هذه الأماكن وتفاصيلها لأن بعض الأحمديين الذين يسافرون إلى هذه المناطق أو يذهبون للعمرة فإنهم يريدون زيارة هذه الأماكن أيضا بعد معرفتهم بالتاريخ، وبذكري لهذه التفاصيل يعرفون شيئًا عن هذه الأماكن.

غَزْوَةُ بَواط. لقد استخلف النبي ﷺ سعد بن معاذ على المدينة وخرج في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـــ. مع مئتين من صحابته، وذلك لاعتراض قافلة تجارية قرشية. وكان بها أمية بن خلف في حماية

١٠٠ رجل من قريش، و٢٥٠٠ إبل. لقد وصل النبي ﷺ إلى بواط التي تقع في ناحية رضوى إلا أنه لم تتم بينهم المواجهة فرجع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة.

كان لواؤه ﷺ أبيض في هذه الغزوة، وكان سعد بن أبي وقاص يحمله.

لقد ورد عن البواط أنه عبارة عن جبلين لجهينة على الطريق بين مكة والشام، وعلى مقربة منهما جبل رضوى الشهير. ويبعد بواط ١٠٠ كلم تقريبا عن المدينة.

غزْوَةُ العُشَيَر. علم النبي ﷺ أن قافلة تجارية قرشية خرجت من مكة، وقد أنفق أهل مكة جلّ أموالهم في هذه القافلة، وذلك ليستخدموا أرباحها في الحرب ضد المسلمين. فخرج رسول الله ﷺ مع مئة وخمسين راكب وقيل في مئتين بشهر جمادى الأولى وقيل جمادى الثانية، فلما بلغ العشيرة علم أن عير قريش اجتازت هذا المكان قبل وصوله إليه ببضعة أيام. (والعشيرة منطقة بين مكة والمدينة في أراضي بني مدلج في ضواحي ينبع) أقام هناك حضرته ﷺ بضعة أيام وأبرم عقد الصلح مع حلفائه من بني مدلج وبني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة. وكانت هذه القافلة تجارية لقريش التي خرج النبي ﷺ لملاحقتها عند عودتها من الشام وحصلت معركة بدر الأولى، ولم تمض عشرة أيام على عودة النبي ﷺ من غزوة العشيرة إلى المدينة إذ أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فأمّر النبي ﷺ على المدينة زيدا بن حارثة وخرج في طلبه مع جماعة من المهاجرين فوصل إلى وادي سفوانَ قرب بدر وهو واد في ضواحي بدر ولكن كرزٌ أسرع ولم يلحقه النبي ﷺ. هذه هي غزوة بدر الأولى.

ثم عاد النبي ﷺ إلى المدينة ويقال لها بدر الأولى لأن جيش المسلمين كان قد وصل إلى موضع سفوان قرب بدر، وهذا قد ورد في السيرة الحلبية.

وعن كرز بن جابر كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ: إن غارة كرز بن جابر هذه لم تكن غارة عادية من بدويّ (أي لم يكن هذا الغزو من بدوي عادي لنهب الأموال فقط) بل كان المهاجم قد جاء من قِبل قريش غازيا المسلمين بحسب خطة معينة. بل من الممكن أنه كان ينوي إلحاق الضرر برسول الله ﷺ. ولكنه حين وجد المسلمين مستعدين اكتفى بسرقة الإبل وعاد. ومن ذلك يتبين أيضا أن قريشًا كانوا قد عقدوا العزم على أن يشنوا على المدينة غارات متتالية للقضاء على المسلمين. هنا يجب ألا يغيبن عن البال أن المسلمين كانوا قد أُذن لهم بالجهاد بالسيف قبل ذلك وكانوا قد بدأوا أعمالا بدائية للدفاع عن أنفسهم، إلا أنهم إلى ذلك الحين لم يكونوا ألحقوا بالكفار أي ضرر في أموالهم ونفوسهم

عمليا، أما المسلمون فقد تضرروا فعلا بغارة كرز بن جابر، ومع أن المسلمين كانوا قد قبلوا تحدي قريش لكن قريشا هم الذين بدأوا الحرب.

ثم كانت سرية عبد الله بن جحش ﷺ في النخلة وهي واد قرب مكة، وقد ورد عن هذه السرية أن رسول الله ﷺ أمَّر عبد الله بن جحش على ثمانية من المهاجرين في رجب وأرسله، ولم يكن معهم أي من الأنصار، وكتب له رسالة مختومة وقال له أن يفتحها بعد قطع مسافة يومين ويعملَ بحسب ما ورد فيها من توجيهات، ولا يُجبر أيًّا من أصحابه على السير معه. وعندما قطع مسافة يومين فتح رسالة النبيِّ فوجد فيها أن اذهب إلى وادي النخلة الكائن بين مكة والطائف واستطلع تصرفات قريش هناك وأخبرنا بها. فلما قرأ سيدنا عبد الله بن جحش تلك الرسالة قال: على السمع والطاعة، ثم قال لأصحابه: لقد أمرني النبي ﷺ أن أتوجه إلى النخلة وأستطلع أحوال قريش وأُطلع النبي ﷺ عليها، ونهاني عن أن أُجبر أحدكم على السير معي، فمن أراد منكم الشهادة فليسرْ معي ومن أراد العودة فليعد، ولم يعد أحدهم، وانطلقوا كلهم إلى الحجاز. في الطريق ضاع بعير سيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا عتبة بن غزوان، فتخلفا عن القافلة بحثا عنه أما عبد الله بن جحش فقد وصل إلى النخلة برفقة بقية رفقائه. فمرت بها قافلة صغيرة لقريش ومعها بضاعة قريش من الأعناب والجلود للتجارة، وكان فيها عمرو بن الحضرمي أيضا، فلما رأى قريش مكة المسلمين فزعوا، فقابلهم سيدنا عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رآه قريش اطمأنوا وقالوا فيما بينهم لا داعي للخوف إنهم ذاهبون للعمرة. وتشاور المسلمون وقالوا فيما بينهم أنهم إذا قاتلوا قريشا فهم في آخر يوم من رجب وهو من الأشهر الحرم، وإذا انتظروا فسوف يدخل قريش حدود الحرم ليلا ولن يتمكنوا منهم، فاتفقوا أخيرا على أن يهاجموا تلك القافلة. لقد مر هذا التفصيل في ذكر الصحابة من قبل.

أطلق سيدنا واقد بن عبد الله التميمي سهما على عمرو بن الحضرمي فقضى عليه، وأسر المسلمون اثنين منهم وفرَّ الرابع. ثم عاد سيدنا عبد الله بن جحش إلى النبي ﷺ مع الجمال والأسيرين، قال لهم ﷺ: لم آذنْ لكم بالقتال في الشهر الحرام، وأبقى الجمال والأسيرين عنده ورفض أن يأخذ منهم شيئا. فالذين يقولون إن المسلمين كانوا يهدفون إلى نهب الأموال مخطئون إذ لو كان ذلك هو الهدف من الجهاد لشجَّع النبي ﷺ أفراد السرية ولقال لهم أحسنتم، لكنه استنكر فعلهم وخطَّأهم، وفي الطرف الآخر أثارت قريش ضجة أن المسلمين هتكوا حرمة الشهر الحرام، ولما كان المقتول أي عمرو بن

الحضرمي رئيسا وكان حليفا لعتبة بن ربيعة سيد قريش، فقد أشعل هذا الحادث نار غضب قريش، وبدأوا يستعدون للهجوم على المدينة بشدة أكثر من ذي قبل.

باختصار، بدأت الأقاويل حول هذا الحادث بين المسلمين والكفار وأخيرا نزل الوحي التالي في القرآن الكريم مُطَمْئنا المسلمين: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾..ولكن منع الناس قهرا في الشهر الحرام من دين الله وكفرٌ بهما، أي كفرٌ بالشهر الحرام وبالمسجد الحرام، أي هتْكُ حرمتهما، وإخراجُ سكان منطقة الحرم منها -كما كان المشركون يفعلون- كل ذلك أشد شناعةً عند الله من القتال في الشهر الحرام. لا شك أن إثارة الفتنة في الأرض في الشهر الحرام أسوأ من القتل الذي يكون بهدف القضاء على الفتنة. فأيها المسلمون لقد أعمت هؤلاء عدواتُكم لدرجة أنهم لن يتورعوا عن قتالكم في أي وقت وفي أي مكان، بل سيواصلون قتالكم إلى أن يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ذلك.

على كل حال، كان الله تعالى يعلم أن الكافرين سيبذلون أقصى جهدهم لرد المسلمين عن دينهم، ولذلك لم يُبْد أي غضب على ما حصل منهم في ذلك الموطن. والثابت من التاريخ أن زعماء قريش كانوا يواصلون دعايتهم الدموية ضد الإسلام حتى في الأشهر الحرم أيضا، بل كانوا يزدادون نشاطا لتنفيذ أعمالهم المفسدة في الأشهر الحرم مستغلين المناسبات والأسفار التي كانت تقام في هذه الأشهر، ثم كانوا لا يتورعون عن تغيير الأشهر الحرم من مكانها الطبيعي إلى غيره لِيُطَمْئنوا خاطرهم، وكانوا يسمّون هذا التصرف "نَسيئا".

كان من الطبيعي أن يطمئن المسلمون بهذا الوحي الرباني، كما أنه هدّأ من غضب قريش أيضا إلى حد ما بعد أن علموا بنزوله. وفي هذه الأثناء وصل أناس من الكفار إلى المدينة يطالبونه بإطلاق سراح الأسيرينِ الكافرين، ولكن سعد بن أبي وقاص وعتبة لم يكونا قد وصلا إلى المدينة بعد، وكان النبي ﷺ يخاف عليهما خوفا كبيرا بأنهما لو وقعا في أيدي قريش فسوف يقتلاهما، ولذلك رفض ﷺ فكّ الأسيرينِ وقال لن أطلق سراحهما إلا بعد وصول صاحبيّ إلى المدينة. ولما وصل سعد وعتبة إلى المدينة بسلام خلى سبيل الأسيرين الكافرين مقابل الفدية.

ثم هناك غزوة بدر الكبرى التي قد سُميت في القرآن الكريم يوم الفرقان. وقال حضرة الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام رضي الله عنه: كان فرقان النبي ﷺ هو يوم معركة بدر الذي هلك فيه الصناديد الأبطال للأعداء وانتصر المسلمون وغلبوا.

وقال حضرة الخليفة الأول في موضع آخر وهو يبين معنى الفرقان: إن ما فهمته من القرآن الكريم هو أن الفرقان هو انتصار ساحق يقصم ظهر العدو، وهو يوم بدر.

وتسمى هذه الغزوة غزوة بدر الثانية، وبدر الكبرى، وبدر العظمى، وبدر القتال أيضا.

بلغ النبيَّ ﷺ أن أبا سفيان قادم من الشام مع قافلة تجارية لقريش، تضم مئة جمل، وقد استثمرت فيها قريش أموالا طائلة، ومن كان منهم يملك مثقالا (بضع أونسات) من الذهب أو المال فكان أيضا قد استثمرها في هذه القافلة التجارية. ويقال إن أموالا طائلة قد استُثمرت فيها.

وكان في هذه القافلة أربعون شخصا، وفي رواية سبعون. وهي القافلة نفسها التي كان النبي ﷺ قد خرج للتصدي لها من قبل أيضا ووصل لهذا الغرض إلى مكان يدعى العشيرة، ولكن القافلة كانت قد سارت من هنالك إلى الشام قبل وصوله.

خرج النبي ﷺ لهذه المعركة في جمادى الأولى أو جمادى الآخرة من العام الثاني الهجري. عندما بلغه ﷺ أنها راجعة من الشام دعا المسلمين للخروج معه للقائها وقال إنها قافلة تجارية لقريش فيها أموالها فاخرجوا للتصدي لها، لعل الله تعالى يعطيكم الغنائم.

بعض الناس الذين يتحينون فرص الطعن والاعتراض أو يكونون قليلي العلم يعترضون هنا ويقولون بأن المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة بدأوا السلب والنهب، ويستدل هؤلاء المعترضون على صحة قولهم بأن مطاردة المسلمين لقافلة قريش هذه دليلا، والحق أن اعتراضهم هذا ليس إلا حمقا وغباء وجهلاً مطبقا بأحوال الحرب في ذلك العصر، إذ لم يكن التعرض لتلك القافلة التجارية محل اعتراض أبدًا. وقد تناول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه هذا الموضوع مفصلا في كتابه "سيرة خاتم النبيين" فقال: ليس في خروج المسلمين للتصدي لتلك القافلة التجارية مدعاة للاعتراض أبدا وذلك للأسباب التالية:

الأول: هذه القافلة التجارية التي خرج المسلمون للتصدي لها كانت قافلة غير عادية إذ كان لكل فرد من قريش ذكرٍ أو أُنثى، سهمٌ في أموالها، مما يدل على أن زعماء قريش كانوا ينوون استخدام أرباح تجارة هذه القافلة التجارية في قتال المسلمين. والثابت تاريخيا أن هذه الأرباح التجارية هي التي قد أُنفقت لإعداد العدّة لمعركة أحد. فإيقاف تلك القافلة كان ضروريا من باب التدابير الحربية.

والثاني: كان إيقاف القوافل التجارية لقريش ضروريا أيضا لأنها كانت تخرج متسلحة عادة، وكانت تمر بالقرب من المدينة كثيرا، وكان المسلمون مهددين بالخطر من قبلها دوما، فكان وضع الحد لهذا الخطر ضروريا.

وثالثا: حيثما مرت هذه القوافل أغرت قبائل العرب ضد المسلمين، مما جعل المسلمين في وضع حرج وضعيف جدا، فكان وضع حد لهذه القوافل من ضمن إستراتيجية الدفاع عن النفس والحماية.

والرابع: كانت قريش تعيش على التجارة عموما، فكان إيقاف قوافلها التجارية وسيلة ناجعة لإرجاعها إلى صوابها ولمنعها من الأعمال الحربية، ولإجبارها على الصلح وإحلال الأمن والسلام. في هذا العصر أيضا يفرض بعض البلاد أنواع الحظر على البلاد الأخرى منعًا للحرب، ولا شك أنها تفرضها بطريقة خاطئة وظالمة، إلا أن فرض الحظر هو ضمن الإستراتيجية الحربية.

ولكن لم تكن الغاية من إيقاف هذه القوافل السلب والنهب، بل كما صرح القرآن الكريم لم يرغب المسلمون في التصدي لهذه القافلة التجارية طمعًا في الأموال، وإنما لأن التصدي لها أخفُّ أذى وأقل مشقة.

على أية حال، أرسل النبي ﷺ صحابييه، طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لاستطلاع أخبار القافلة، وانطلقا من المدينة وعندما عادا إلى المدينة بعد الاستطلاع عن القافلة، علما أن النبي ﷺ قد خرج منها سلفا، فانطلقا إلى بدر، ولقيا النبي ﷺ في الطريق حين كان ﷺ راجعا بعد التفرغ من غزوة بدر. لذلك لم يتمكّنا من الاشتراك في غزوة بدر، ولكن النبي ﷺ وضع لهما نصيبا من الغنائم. ومن ناحية ثانية تلقى أبو سفيان خبرا من جواسيسه أن النبي ﷺ قد خرج مع أصحابه للهجوم على هذه القافلة التجارية.

يقال أيضا إن شخصا لقي أبا سفيان وأخبره أن النبي ﷺ كان عازما منذ البداية على سدّ طريق القافلة، وأنه تركه ﷺ في الطريق ينتظر عودة القافلة. فذُعر أبو سفيان بشدة بسماع هذا الخبر، فاستأجر ضمضمَ بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يخبرهم أن محمدا قد خرج مع أصحابه للهجوم على قافلتكم. فانطلق ضمضم مسرعا. عندما وصل رسولُ أبي سفيان إلى مكة بدأ يصرخ وهو في حالة موحشة كعادة العرب وقال: يا أهل مكة إن محمدا (ﷺ) قد خرج مع أصحابه للهجوم على قافلتكم، فأنقذوها. ومن ناحية ثانية كان أبو سفيان مستمرا في سفره آخذا المعلومات بشطارة ومتحاشيا جيش المسلمين. ووصل إلى نبع بدر فسأل شخصا: هل رأيتَ أحدا هنا؟ قال: جاء هنا

رجلان وأناخا بعيرهما قرب هذا التلّ ورجعا بعد أخذ الماء. ذهب أبو سفيان إلى حيث برك الجملان ورأى الأبعار هنالك فحمل بعرةً وكسرها ووجد فيها نواة التمر فقال: هذا علف يثرب وفهم أن أهل المدينة موجودون في مكان قريب من هنا. فعاد إلى قافلته مسرعا وأخذ أصحابه إلى شاطئ البحر منحرفا عن الطريق العادي المعروف، ومرّ من هنالك مسرعا تاركا ميدان بدر جانبا. وبهذا الشأن هناك رؤيا غريبة رأتها عاتكة بنت عبد المطلب، وقد ثبت صدقها. علما أن عاتكة بنت عبد المطلب كانت عمة النبي ﷺ ووالدة أم المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها. وهناك رأيان عن إسلام عاتكة. قال بعض إنها أسلمت أما الأغلبية فيرون أنها لم تُسلم.

وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا. فَبَعَثَتْ إِلَى أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْظَعَتْنِي، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَرٌّ وَمُصِيبَةٌ فَاكْتُمْ عَنِّي مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ فَقَالَ لَهَا: وَمَا رَأَيْتِ؟ وفي رواية أنها قالت لعباس: لن أحدثك حتى تعاهدني أنك لا تذكرها، فإنهم إن سمعوها آذونا وأسمعونا ما لا نحب، فعاهدها العباس، فقالت: رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتَّى وَقَفَ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَلَا انْفِرُوا يَا لَغُدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتْبَعُونَهُ فَبَيْنَمَا هُمْ حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ صَرَخَ بِمِثْلِهَا: أَلَا انْفِرُوا يَا لَغُدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ (وقد ورد عن جبل أبي قبيس أنه جبل معروف في شرق مكة) فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا. ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا. فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضَّتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ وَلَا دَارٌ إِلَّا دَخَلَتْهَا مِنْهَا فَلْقَةٌ قَالَ الْعَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا، وَأَنْتِ فَاكْتُمِيهَا، وَلَا تَذْكُرِيهَا لِأَحَدٍ. ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا.(أي قد منع أختها من ذكر رؤياها ولكنه بنفسه أخبر بها وليدا، ومنعه من ذكرها لأحد، ولكن عندما يخرج الكلام يصل إلى بعيد) فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُتْبَةَ فَفَشَا الْحَدِيثُ بِمَكَّةَ حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا.

قَالَ الْعَبَّاسُ فَغَدَوْتُ لِأَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَلَمَّا رَآنِي أَبُو جَهْلٍ قَالَ يَا أَبَا الْفَضْلِ إِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَوَافِكَ فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ أَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، مَتَى حَدَثَتْ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ؟ قَالَ قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ تِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ؛ قَالَ فَقُلْتُ: وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَمَا

رَضِيتُمْ أَنْ يَتَنَبَّأَ رِجَالُكُمْ (وأشار بذلك إلى رسول الله ﷺ) حَتّى تَتَنَبَّأَ نِسَاؤُكُمْ، ما تِلْكَ الرُّؤْيَا الّتي رَأَتْ عَاتِكَةُ؟ قال العباس: فَقُلْت: وَمَا رَأَتْ؟ فقال أبوجهل: قَالَتْ رَأَيْت رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ، ثُمّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِه ثم أخذ صخرة من الجبل وأرسلها.. باختصار، ذكر الرؤيا كلها. ثم قال: فَسَنَتَرَبّصُ بِكُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ يَكُ مَا قَالَتْ حَقّا فَسَيَكُونُ وَإِنْ مَضَتْ الثّلَاثُ وَلَمْ يَكُنْ نَكْتُبْ عَلَيْكُمْ كتابا نعلقه في الكعبة أَنّكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ. قَالَ الْعَبّاسُ فَوَاللّهِ مَا كَانَ مِنّي إلَيْهِ كَبِيرٌ إلّا أَنّي جَحَدْت ذَلِكَ وَأَنْكَرْت أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا. ثُمّ تَفَرّقْنَا. فَلَمّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ إلّا أَتَتْنِي، فَقَالَتْ أَقْرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ ثُمّ قَدْ تَنَاوَلَ النّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَك غَيْرٌ لِشَيْءٍ مِمّا سَمِعْت، (نساء الأسرة أثرن غيرته) قَالَ العباس: قُلْت: قَدْ وَاَللّهِ فَعَلْتُ مَا كَانَ مِنّي إلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ. وَايْمُ اللّهِ لَأَتَعَرّضَنّ لَهُ فَإِنْ عَادَ لأكْفِينّكُنّه. قَالَ: فَغَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثّالِثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَأَنَا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ أُرَى أَنّي قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أُحِبّ أَنْ أُدْرِكَهُ مِنْهُ. فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْت أبا جهل، وَكَانَ رَجُلًا خَفِيفًا حَدِيدَ اللّسَانِ. فَوَاللّهِ إنّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أَتَعَرّضُهُ لِيَعُودَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقَعَ بِه. قَالَ إذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ (الحرام) يَشْتَدّ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا لَهُ لَعَنَهُ اللّهُ أَكُلّ هَذَا فَرَقٌ مِنّي أَنْ أُشَاتِمَهُ؟ قَالَ وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيّ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ جَدّعَ بَعِيرَهُ وَحَوّلَ رَحْلَهُ وَشَقّ قَمِيصَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللّطِيمَةَ اللّطِيمَةَ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ، قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا، (أي أسرعوا حتى تدركوها فلا أرى أن تدركوها) الْغَوْثَ الْغَوْثَ. قَالَ العباس: فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عَنّي مَا جَاءَ مِنْ الْأَمْرِ.

قيل حين سمع قريش نداء ضمضم استشاطوا غضبا وبدأوا يحثون الناس على القتال. وَقَالُوا: أَيَظُنّ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرِ ابْنِ الْحَضْرَمِيّ كَلّا وَاَللّهِ لَيَعْلَمُنّ غَيْرَ ذَلِكَ. (قد مضى ذكر عير بن الحضرمي ومقتله على أيدي المسلمين في سرية عبد الله بن جحش، وذكرتُ آنفا كيف تمكن منه المسلمون بسهولة وقبضوا على ماله ومتاعه) الحاصل أن قريش مكة بدأوا يتجهزون، فَكَانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ إمّا خَارِجٍ وَإِمّا بَاعِثٍ مَكَانَهُ رَجُلًا. وقال أحد رؤسائهم: يا آل غالب أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم؟ من أراد مالا فهذا مالي، ومن أراد قوتا فهذا قوتي." بعضهم دفعوا مئتي دينار وبعضهم ثلاثمئة دينار وبعضهم خمسمئة دينار، وقالوا يمكنكم أن تصرفوا هذا المبلغ حيثما وكيفما شئتم. كذلك قدم بعضهم عشرون جملا وبعضهم تحملوا نفقات أهل بيت الخارجين

للحرب، والذي لم يستطع الخروج للحرب بعث مكانه شخصا آخر. وهكذا أكملوا إعدادهم للحرب في يومين أو ثلاثة.

لنتذكر هنا أن ضمضم كان قد نادى أن أسرعوا ولكنهم أعدّوا للحرب كل إعداد مما يتبين أن كفار مكة في الحقيقة كانوا يبحثون عن مبرر للحرب مع المسلمين. وإلا لو كان الهدف مجرد حماية القافلة لخرجوا -وفق النداء- فورا وأخذوا معهم ما وجدوا من أسلحة. ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل خرجوا بعد أن أعدوا للحرب بدلا من حماية القافلة.

ورد عن رؤساء قريش أن خمسة منهم أمية بن خلف وعتبة وشيبة ابني ربيعة وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام استقسموا بالأزلام، فخرج لهم القدح الناهي: أي المكتوب عليه لا تفعل، فأجمعوا على المقام وعدم الخروج، فجاءهم أبو جهل لعنه الله وأزعجهم، وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث. وقال عبد عتبة وشيبة لسيدَيه: بأبي وأمي أنتما، والله ما تساقان إلا لمصارعكما، فأرادا عدم الخروج، فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش.

وهناك تفاصيل أخرى لاستعداد الكفار للحرب وخروجهم وواقعاتها. سأبينها لاحقا بفضل الله. لها تفاصيل كثيرة.